

عنوان المحاضرة: الأسطورة والأدب

الأساطير هي مجموع المعتقدات والشعائر في مجتمع من مجتمعات ما قبل التاريخ أو في المجتمعات القديمة. وهي تلك التصورات الفكرية والاتجاهات الروحية ونشاط الجماعة والأفراد وفقا لعادات معيَّنة أو طقوس محدّدة.

تختلف هذه الأساطير من مجتمع ومن مستوى حضاري إلى آخر، لكن أصلها ومنبعها وغايتها مشتركة.

تعددت أشكال الأسطورة وصورها، متفاوتة في الخفاء والظهور وتعتمد اللاشعور الجمعي، وهي رد فعل الإنسان أمام الطبيعة في تعامله معها، فهو يقدر ما يرجو خيره ويتقي شر كل مل يرى فيه أذاه، وهذا ما يفسّر تقديم القرابين في العصور القديمة.

لم يوجد مصطلح الأسطورة عند الإنسان البدائي، إنّما هو مصطلح جاء به علماء الأنثروبولوجيا، وعند قيامهم بدراسة عالم الأساطير وجدوا أنّ الأسطورة الأولى لا وجود لها، إذ ضاعت بسبب الرواية الشفوية والتباعد الزمني، واحتفظت الذاكرة بجزئيات فقط، فلا وجود لأساطير حقيقية إذ حوّرت عبر الزمن.

أطلق "فراس السوّاح" على مصطلح الأسطورة ما عُرف بالعقل الأول من خلال كتابه (مغامرة العقل الأولى)، وهي بالنسبة له الحقيقة المطلقة، فأمن بها وقدّسها، واقتنع بها المجتمع (الجماعة) ومجدّها عن طريق الطقوس والشعائر.

وظيفة الأسطورة:

بدأت الأسطورة بتنظيم حياة الإنسان في أمرين:

-في علاقته مع الطبيعة والكون.

-في علاقته مع غيره (علاقته الاجتماعية).

للأسطورة وظائف عدّة أهمها:

-**الوظيفة التفسيرية:** فهي تجيب عن الأسئلة، ولذلك فهي معرفة وعلم الإنسان الأول.

-**الوظيفة التشريعية:** وضع الإنسان الأسطورة من أجل وضع نظام أخلاقي اجتماعي، ولذلك أُلّف حكايات بخياله ليتجاوز أخطاءه، فمثلا وضع قانون العقاب واللعنة، إذ أنّهما يصيبان الإنسان الذي يتجاوز الحدود الأخلاقية والنظامية.

خصائص الأسطورة:

-الخيال: تستمد الأسطورة مادتها الأولى من الخيال استنادا إلى بيئة معيّنة، ويعتبر هذا الخيال حقيقة بالنسبة لهذه المجتمعات، فهو ليس خيالا للكذب إنّما كان لحاجة علمية لم يفهمها الإنسان الأول.

-السرد: تقوم الحكاية الأسطورية في قالب سردي، لكي يسهل تنقلها بين الجماعة والأجيال.

-الارتباط بالغيبيات: بما أن الأسطورة هي إجابة عن تساؤلات ارتبطت بالخيال فهذا ما سيجعل الإنسان البدائي يلجأ إلى العالم الآخر، وهو عالم الآلهة وأنصافها... وهو عالم فوق الخيال لا وجود له.

الأسطورة والأدب:

لم تصلنا الأسطورة الأصلية كما هي، إنّما وصلتنا الأساطير مشوّهة في حمولات (أجناس) أدبية. فوصلتنا الملاحم وهي تحتوي أساطير كملحمة (قلقماش) و (الإلياذة) و(الشاهنامة)...، كما وصلتنا الأسطورة مع المسرح اليوناني كمسرحية (أوديب ملكا) لـ "سوفوكليس"...

وفي العصر الحديث وظّف الأدباء الأسطورة كرمز يدل على قضية تواكب عصرهم، سواء عند الغرب أم العرب. وأصبحت الأسطورة مجرد رمز فقط، أي انتقلت من الهالة القدسية إلى السّاحة الأدبية فدنست وفقدت بريقها الديني لتصبح مجرد رمز في النصوص الأدبية شعرا ونثرا. واصطلح عليها بالأسطورة الأدبية.

ملاحظة: ينظر إلى المراجع التالية:

فراس السوّاح، مغامرة العقل الأولى.